البليستوسين والعصر الحجـري في وادي العاصي بسورية(١)

ل. فـان لـير

ترجمة وتلخيص : شوقي شعث

ان وادي نهر العـاصي الاوسط كان موضع دراسات عدة نشرات حديثا ، فقد كتب فوت Voûte حول انشاءات الدور الجيولوجي الرابع والتوضعات البحيرية في وادي العاصي في الدور البليوستيسيني ، ودي ڤوماس De Vaumas كتب عن جغرافية المنطقة الطبيعية وخاصة عن الجيومورفولوجي .

سويات عصر البليستوسين :

لقد عرف حتى الآن ثلاثة سـويات من العصر البليوسيني في وادي العاصي وهي :

— سوية العصر الفليفرانشي المتأخر أو سوية العصر البليستوني المتوسط وتظهر فيها ادوات العصر الفليفَرانشي والعهـد السابق للـدور الشيلي الآشولي ، كما يظهر الوادي مرملا ويكثر فيه الحصى الخشن على ارتفاع يتراوح بين ٣٠ — ٧٠ م فوق سوية النهر الحالية .

— سوية العصر البليستوسيني المتوسط :
وتحوي على أحياء حيوانية من عهد منديل ريس وصناعات من الـدور الشيلي الآشولي ، ويكثر الرمل والحصى الخشن في هـذه السوية على ارتفاع يتراوح بين ٥ — ٣٥ م فوق مستوى النهر الحالي .

— سوية العصر البليستوسيني الحديث :
وتضم أدوات من أواخر العصر الشيلي الآشولي وبعض الاحياء الحيوانية من العهد البليستوسيني الحديث ، وتتكون توضعات هذه السوية من الرمل والصلصال وتتفق سوية النهر في العهـد الهوليسيني مع سويته في العهد البليستوسيني الحديث تقريبا وتتكون توضعاته من الصلصـال فقط .

البيئة في العصر البليستوسيني :

ينساب نهر العاصي عبر منطقة تعتبر مناخيا وسطا بين اقليم البحَر المتوسط والصحاري الداخلية ، وتعتبر هذه المنطقة ايضا وسطا تبين الاستيس القطبي والسفانا الاستوائية ، ومن حسن الصدفة ان سفانا المتوسط التي تسود في هذه المنطقة والتجمعات الحيوانية تتوافق مع الطبقات التي يمكن تمييزها هنا بصورة جيدة .

ومن الناحية الجيولوجية فان السفانا التي تقـع الى الشرق من منطقة البحر الابيض المتوسط ، تضم الجبال الفلسطينية وسلسلة جبال لبنان الشرقيـة وسهول وهضاب سوريا الشمالية ، التي تتكون من كتلة ضخمة من الجير والطباشير ومن الممكن ان تكون

(١) من اراد الاستزادة فليراجع المقال المنشور بالقسم الاجنبي .

التغييرات الطبيعية قذ احدثت اثرا فيها ، وبينما نجد السلكس Silex يستعمل في صناعات متعددة ، نجد انسان ما قبل التاريخ قد استخدم الجير في صنع أدواته في فترات معينة هي على الاغلب في النصف الاول من البليستوسيني الحديث ، نجد التربة هنا غضارية حمراء ولم تستطع التقلبات المناخية ان تحيلها الى تربة صحراوية او رطبة او قطبية ، وعلى العموم فان تربة العصر البليستوسيني القديم والمتوسط يكثر فيهـا المنغنيز والحديد اللذين نفتقدهما في العصر الحاضر ، ويظن ان هذا يعود الى الظروف الحرارية التي أدت الى تكوين تربة من نوع Terra Roao والتربة الحالية غير جيدة لعدم نمو النبات فيها فهي تميل الى تربة كلسية ذات صفات صحراوية •

من الصعب تصور الحياة النباتية في هذه المنطقة في العصر البليستوسيني حيث تتحول سفانا المتوسط الى استبس طويل ، كما يتشابك شجر البلوط في شكل غابات وادي النهر وقد كثرت الحيوانات البرية في هذه الغابات المتشابكة في العصر البليستوسيني • وان ارتفاع الجبال سبب وجود استثناءات لهذه الصورة فعلى جبال لبنان التي ترتفع الى الف متر توجد هنـا وهناك ادغال مختلطة من الشجيرات المثمرة ، وفي جبلي الشعره وعبد العزيز على حدود الصحراء توجد كذلك شجيرات الفستق وهناك دلائل تشير الى ان انسان ما قبل التاريخ قد انجذب الى تلك الادغال المفتوحة والمغطاة بما يشبه السفانا كما كان في نهـاية الدور الآشولي • لا شيء معروف عن الدورة النباتية لسفانا البحر المتوسط وبالنسبة لنباتات البحـر المتوسط فيوجد تناوب بين غابات الصنوبر والبلوط ، ويمكن معرفة الكثير عن هذه الدورة النباتية بدراسة طبقات وادي العاصي ، اما حيوانات سفانا المتوسط فمعروف عنها اكثر من أي منطقة أخرى •

فقد عرفت حيوانات الدور البليستوسيني المبكر من الانهدام الواقع بالقرب من بيت لحم ، والحيوانات العائدة الى نهاية الدور الفيلفرانشي والدور البليستوسيني المتوسط من مصاطب العاصي في حماه واللطـامنة ، أما حيوانات العصر البليستوسيني الحديث فقد عرفت من الكهوف في أم قطفة ، عرق الاحمر ويبرود ومن حصى النهر في الغاب وهنـاك نوعين من الحيوانات العائدة للعصر البليسوسيني المتوسط في الاردن في موقعي عبيدة وجسر بنات يعقوب ، ومن المشكوك فيه ان هذين النوعين يعودان الى عهد واحد • وان حيـوانات النصف الاول من العصـر البليستوسيني الحديث تتمثل في أم قطفة ، ومن سوء الحظ ان حيوانات يبرود من المأوى (L-1) قد فقدت ، أما حيوانات النصف الثاني من العصر نفسه فتظهر في عرق الاحمر حيث تتشابه مع حيوانات ام قطفة فيما عدا الرنة والغزال الاحمر ، ولا توجد فيلة في هذا العصر في الشرق الاوسط على الرغم انها كثرت في العصـر البليستوسيني الحديث •

ان الاتجـاه العام في هذا التتابع هو الجـدب التدريجي في النوع وربما في العدد فالغزال يظهر في سفانا البحر المتوسط في النصف الاول من العصـر البليستوسيني الحديث ومرد ذلك قد يكون عائدا الى نزوحه من الشمال بسبب موجات البرد ، وفي هذا العصر تنقرض الحيوانات الافريقية والاوروبية تدريجيا في سفانا البحر المتوسط ويسود الحمـار الوحشي والغزال • وهناك ملاحظتان يمكن ادراكهما من مخلفات الكهوف وان أشهرها في وادي المغـارة في أكثر أجزاء الشاطىء جفافا حيث حل الغزال محل الابل وفي جرف العجلة في الصحراء بالقرب من تدمر حيث حل الغزال من نوع Equus •

الحياة البشرية في اقليم سفانا المتوسط :

دور البليستوسين المبكر :

لا توجد صناعات بشرية معروفة من العهد الفليفرانشي ، وقد حوى انهدام بيت لحم كثير من الرقاق الصوانية التي ظن انها صناعية في باديء الامر وعند فحصها بدقة تبين انها طبيعية .

نهاية الدور الفليفرانشي أو أول الدورالبليستوسيني المتوسط :

يوجد موقع واحد فقط من هذا الدور في حماه توجد فيه صناعة من المكاشط والرقاق التي تعاصر حضارة Oldwowan في شرقي افريقيا وعلى أي حال فان صناعة هذه السوية تعود الى ما قبل العهد الشيلي — الآشولي وفي موقع الرشيد وجدت رقاق مشابهة الى الاولى .

عصر البليستوسين المتوسط :

ان أحسن موقع من هذا العصر في اللطامنة ، وتبلغ مساحته تسعون مترا مربعا وادواته من العهد الشيلي — الآشولي واهمها من المكاشط والفؤوس اليدوية والرقاق الصوانية .

ان صناعة اللطامنة وجدت بكثرة في كثير من الاماكن في وادي العاصي وفي دلتا نهر الكبير في اللاذقية ويمكن وجودها كذلك في حوض الفرات الاوسط ، لقد تجمع انسان العهد الآشولي بشكل كثيف حول الانهار الرئيسية في منطقة سفانا البحر المتوسط وقد عرفت فأس يدوية واحدة في رأس بيروت ربما كانت من حضارة فترة منديل ريس .

العصر البليستوسيني الحديث ـ النصف الاول :

ان صناعة هذا العصر تتصف بصفات صناعة نهاية الدور الآشولي وفيه كانت منطقة سفانا البحرالمتوسط مأهولة على الدوام ، توجد مواقع كثيرة من هذا العهد في كل مكان وتتجمع ادواته بشكل حسن ، ومن أهم مواقعه كركور في الغاب وكذلك وجدت مواقع متشابهة في وادي الفرات وعلى طول الانهار والجداول الكبيرة والصغيرة وحتى في الصحراء ، وفي هذا العصر اتخذ الانسان مأوى له من الصخر تظهر في جبال لبنان الشرقية على ارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠ — ١٦٠٠م وفي نهايته سادت الصناعات التقليدية ومن أهمها النصال والامواس والمناقب .

العصر البليستوسيني الحديث ـ النصف الثاني :

يعتبر هذا العصر عصر اضمحلال في سيادة اقليم سفانا المتوسط اذا اتخذنا عدد وحجم المواقع اساسا للمحاكمة ، فكلا الدورين :

اللفوازي — الموستيري الذي يعاصر حضارة ڤورم Würm والباليوتيكي العلوي الذي يعاصر Würm قلما يوجدان فيبدو انهما اقتصرا على المآوي وقليل من المواقع من هذا الدور وجدت في الغاب وغوطة دمشق ، وكذلك فان الدور الميترولين فقير اذا قورن بسفانا البحر المتوسط في سوريا بعيدا عن مأوى يبرود الصخرية ، فقد وجدت بعض مآوي العهد الميتزوليني في الغاب وغوطة دمشق ومن المحتمل ان تظهر الدراسات مواقع جديدة ولكن قد تكون فقيرة .

وهناك دلائل تشير الى أن سبب اضمحلال السكن في سفانا المتوسط في المرتفعات العالية يعود الى انخفاض درجة الحرارة ويؤيد هذا اشكال الحبوب في موقع كركور بالغاب وفي غيره من المواقع التي تشير الى برودة النصف الثاني من الدور البليستوسيني الحديث .

٢ – السوية الفيلفرانشية المتاخرة :

يبلغ اتساع هذه السوية ثمانية كيلو مترات وقد اجتزأت من الهضبة على طول سرير النهر الاوسط ، وعلى الرغم من ان معظم بقايا هذه السوية قد اختفت عن طريق الانهدام والتآكل اللذين حدثا مؤخرا الا ان بعضها بقيت سالمة وأهم مواقعها :

الرستن : في طبقة رقيقة من الحصى في سرير النهر تعود على الاغلب الى السوية الفيلفرانشية المتأخر عثر على شظايا دون فؤوس يدوية او ادوات هادفة ، وترتفع هذه الطبقة بمقدار سبعين مترا عن مستوى النهر ، وتظهر النصال والشظايا التي استدارت بفعل جريان الماء على جانبي الوادي في الطريق المؤدية الى سد الرستن •

حماه : في حماه وفي الحفر الحصوية في شريه تظهر توضعات نهرية من الرمل والحصى لها علاقة بحواف النهر المتحجرة ، تتألف هذه الحواف اللحقية من طبقة رقيقة من الرمل متوضعة فوق بعض ومن الحجارة الطينية المتماسكة مع طبقات جيرية سهلة التفتت ، ويمكن التعرف على السطحين القديمين بواسطة التربة الحمراء المدفونة وبواسطة المكاشط والشظايا الموجودة عليها •

ان الادوات الصناعية في موقع شرية تتألف من مكاشط وشظايا صغيرة بطرف مائل منبسط ، وهي عبارة فلق زلط ولا تختلف عن تلك التي في الرستن •

قلعة المضيق : ان حصى قلعة المضيق يقع في الجانب الشمالي من اسوار مدينة افامية القديمة وعلى ارتفاع قدره اربعون مترا عن الغاب ، وهي بدائية وبدون أدوات صناعية ولكن توجد بعض الاحياء الحيوانية ، وهناك دليل يعيد هذه الحصى الى الدور البليستوسيني القديم •

٣ – سوية البليستوسين المتوسط :

تتكون هذه السوية من رمل ناعم مع طمي وحصى عدسي وهي تشبه الى حد كبير توضعات اطراف النهر في شرية ، وعلى الرغم من انه لا توجد مواد متحجرة ولا صناعات الا انها يمكن ان تتقابل زمنيا مع حماه •

٤ – سوية البليستوسيني الحديث :

ان الخارطة الجيولوجية المختصرة لمنطقة الغاب ـ العشارنة تبين حركة النهر في الدور البليستوسيني في الغاب فعلى طول المجرى المتوسط للنهر لا يعرف غالبا شيء عن العصر البليستوسيني المتأخر ويعتقد انه حدثت تغييرات بنائية ادت الى انخفاض الغاب الى مستواه الحالي والى تجزئة العشارنة الى أغوار •

ان عصري البليستوسين القديم والمتوسط في وادي العاصي يجب ان يكونا دلتا واسعة نحو الشمال تشكلت في العصر البليستوسيني المتوسط ولا يزال هناك بقايا من الحصى الناعم والرمل على سطح اغوار العشارنة •

أما في الغاب فالشواهد في السويات القديمة يمكن ملاحظتها في الجانب الشرقي في المنطقة الممتدة بين قلعة المضيق والعمق ، وفي الجانب الغربي نشاهد بقايا غرينتية على طول منحدرات جبال العلويين من شاسا Chatha حتى اشبرق Chtabrak لها سطوح منبسطة ومن المحتمل توافقها زمنيا مع السوية الاولى ، وكلا السويتين ترتفعان عن مستوى الغاب حاليا بمقدار ٢٠ — ٢٥ م •

لا توجد احياء حيوانية ولا صناعات في الغاب تعود الى البليستوسين المتوسط ، لذلك فان انخفاض الغاب يجب ان يكون قد حدث في نهاية دور البليستوسين المتوسط ، اما بقايا البليستوسين الحديث فتتألف من الرمل والصدف وبعض الحصى التي توجد

فتتألف من الرمل والصدف وبعض الحصى التي توجد في الجزء الشرقي من الوادي فقط. ويوجد عدد من مواقع ما قبل التاريخ قد توضعت في وادي النهر القديم ومن أهمها كركور .

كركور : يشبه المواقع التي عرفت في الغاب حتى الآن ، وقد ظهر ان موقع كركور يضم مزيجا من الصناعات تمتد الى زمن طويل ، ولكن الدراسات الحديثة في افريقيا للدور الآشولي المتأخر قد أظهرت العلاقة الوثيقة بين الرقاق والادوات الصوانية وصناعات كركور التي تتكون من انوية وادوات حيوانية تعود الى الدور البليستوسيني الحديث كتلك التي عثر عليها في كهوف يبرود ، عدلون ، ام قطفة ، وطابون ، والرقاق التي سادت صنع بعضها بواسطة مطرقة اسطوانية وبعضها غشيم مشعث الأطراف ، لها أطراف منبسطة ومائلة تتفاوت بين القصر والغلظ وبين الطول والرقاقة ويعتقد ان الحصى في كركور يعود الى النصف الاول من الدور البليستوسيني الحديث ، اما المساكن والبقايا فتعود الى عهد ابكر هو النصف الثاني من العصر البليستوسيني الحديث ، والدراسات الحديثة جعلت الاحتمال اكثر بأن يكون الموقع من النصف الاول للبليستوسين الحديث وبالمقارنة مع افريقيا فان تجمعات كركور بفؤوسه اليدوية وامواسه تمثل صناعة واحدة واكثر من ذلك فان المواد العضوية والمواد النباتية المتحجرة الموجودة تحت الطمي النهري كانت أقدم بكثير من قدرة الكربون ١٤ .

٥ ــ العصر البليستوسيني الحديث في وادي العاصي

كان مجرى العاصي في النصف الثاني من العصر البليستوسيني الحديث بالغاب هو نفسه تقريبا في النصف الاول من العصر نفسه وقد تميزت روافده بوجود الرمل الاصفر الناعم ، وقد ظهرت مواقع من اواسط الدور الحجري العلوي مبعثرة ولكنها قليلة واحسن مثال لها في موقع عين النور .

عين النور : ظهرت في موقع عين النور نسب مئوية عالية من الادوات الظرانية المطروقة الاطراف والمصنوعة من خامة رديئة وبهذا ظهر على معظمها كمخة سميكة ، وقد ظهرت البقايا الاثرية تحت مستوى الماء في دور الهولسيين Holocene ضمن طين اصفر ورمادي ، ولم يكن الغاب بحيرة أثناء ذلك القسم من العصر البليستوسيني الحديث .

٦ ــ العاصي في الدور الهولوسيني :

ان البقايا السابقة لدوري الميتزوليتي والهولوسيني تتألف من الطين والكلس والمواد النباتية ، وهي تختلف كثيرا في السماكة ، فهي سميكة في القسم الاوسط من الغاب في المنطقة الواقعة بين العمق وشاسا في بحيرة الحواشي السابقة ، ويعتقد ان هذه المنطقة قد انهدمت حديثا وهذا يؤيده دراسة موقع الطنجرة .

في الطنجرة في بحيرة الحواش وجدت مدافن تحت خط الماء بامتار متعددة وقد حفرت هذه المدافن في طبقة رقيقة من الكلس والتي يوجد الى الشمال منها رمل اصفر يعود الى دور البليستوسين الحديث في وادي العاصي وعلى أي حال فان موقع هذه الطبقة في الطنجرة يقع غالبا اخفض بخمسة امتار ، والطبقة نفسها سابقة للدور الميتزوليتي لان الادوات في سيجريم وجدت تحتها حيث انها تبدو سابقة لمدافن الطنجرة التي يمكن تأريخها بين العصر البرونزي القديم والعصر الحديدي .

٧ ــ مقارنة سويات البليستوسين وعصر ما قبل التاريخ في وادي العاصي بسويات نهر الاردن والبحر المتوسط :

تبرز المشكلة انه كيف يمكن ان تكون هناك

علاقة بين عبيدية Ubaidye في وادي نهر الاردن وحماه، فالاحياء الحيوانية والادوات المصنوعة مع بقايا داجنة وجدت في القسم العلوي من توضعات نهر الاردن الحجرية تدعى Melanopsis stage تعود الى العهد الفليفرانشي وعلى أي حال فان الاحياء الحيوانية الجديدة في عبيدية مع احتوائها على بقايا فليفرانشية فانها اكثر سيادة مع الثور البري والغزال والخنزير والحصان كما لاحظ السيد هوير فانه لا يوجد غزال في الدور الفيلفرانشي في بيت لحم ، وعلى العموم فان صناعة عبيدية تحوي ادوات فرم وادوات ثلاثية السطوح الغير موجودة في حماه وموجودة في العصر البليستوسيني المتوسط في اللطامنة وعلى هذا فان موقع عبيدية احدث من حماه ٠

ان سوية المتوسط التي تظهر بوضوح في منطقة اللاذقية تصل الى ٩٥م وهذه أول سوية فوق السويات التي عثر على الفؤوس اليدوية فيها ، وعلى كل فان التوافق غير موجود بشكل جيد وان الاحياء الحيوانيه المميزة غير موجودة في سوية الـ ٩٥ م ، وظهر ان سوية الـ ٩٥ م في اللاذقية تقابل السوية الصقلية في غرب المتوسط ٠

ان سويات البليوسين Pliocene في شرق المتوسط غير واضحة وتتراوح اعماقها من ٥٢٠ م في حارم الى ٣٠٠ م في حيفا ثم الى ٢٥٠ ه في طرابلس وفي مستوى البحر عن بيروت والى ١٠٠ م في الساحل الفلسطيني ، وهناك سبب للاعتقاد بأن حركة الميل هذه قد استمرت في سويات العصر البليستوسيني المبكر والمعروفة في فلسطين بينما سويات الـ ١٥ م و ٦ أمتار في سوريا ولبنان فهي شبه دائمة أما سويات اللاذقية فربما عليت ٠

ان صناعات فترة منديل ريس في اللطامنة من المقلع (١ ، ٢ ، ٣) من الحفر ا ، ب في عام ١٩٦٠ يستطاع مقارنتها مع صناعات جسر بنات يعقوب في وادي الاردن ٠ أما الاحياء الحيوانية فتتوافق في الموقعين ، الا ان مجموعة اللطامنة اكبر بكثير من تلك التي في جسر بنات يعقوب ٠